التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف في الشعر الجاهلي
(دراسة بلاغية تحليلية)

methods used by pre-Islamic poets in employing metonymy to describe the power of a sword strike

10.35781/1637-000-098-003

الباحث/ فايز بشير العطوي*

*محاضر بقسم اللغة العربية بجامعة تبوك

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على طرائق الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضربة السيف، والمعايير التي قاسوا بها قوة هذه الضربة، وتكمن الأهمية العلمية لهذا الموضوع في الكشف عن المزايا البيانية والتشكيل الشعري؛ لتصوير ضربة السيف عند الشعراء الجاهليين، والوقوف على طرق التعبير المتعددة عن المعنى الواحد، مع تحديد المصادر التي استقوا منها هذه الكنايات، والسياقات التي وردت فيها، وكان منهج الباحث في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يستقرئ الجزئيات، وتصنيفها واستنباط الكليات الحاكمة لتلك الجزئيات، ومن ثم تحليلها، واستجلاء المكونات التي ساهمت في إبداعها، وتفسير مضامينها وإيحاءاتها، والوقوف على خصائصها الفنية والجمالية والدلالات الكامنة خلف هذه المضامين، وتكونت خطة البحث من مقدمة، وتمهيد جاء في شقين: علاقة العربي بسيفه وأهمية الكناية في الدرس البلاغي، يليهما مبحثان. يتناول المبحث الأول الكناية عن قوة ضربة السيف من خلال وصف تأثيرها المادي أو المعنوي في الإنسان، بينما يستعرض المبحث الثاني الكناية عن قوة ضربة السيف عبر طرائق أخرى. تنتهي الخطة بخاتمة تتضمن أهم النتائج، ومن أبرز النتائج التي توصلت لها هذه الدراسة:

أن التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف في الشعر الجاهلي قد جاء عبر طرائق متعددة، فقد كانت معايير الشعراء في الحكم على قوة الضربة مستلهمة من تأثير هذه الضربات على معطيات مختلفة مستمدة من البيئة المحيطة بهم، والتي تبين أنها تنقسم إلى قسمين، الأول يركز على قياس قوة الضربة عبر تأثيرها في جسم الإنسان، والثاني يصف قوة الضربة، دون أن يكون جسم الإنسان طرفًا فيها.

الكلمات المفتاحية: ضربة السيف، التصوير الكنائي، الشعر، العصر الجاهلي.

ISSN : 2410-1818

Abstract

This study aims to explore the methods used by pre-Islamic poets in employing metonymy to describe the power of a sword strike. The scholarly significance of this topic lies in uncovering the rhetorical features and poetic formations used to depict a sword strike among pre-Islamic poets, exploring various expressions for a single meaning, identifying the sources from which these metonymies were derived, and the contexts in which they appeared. The research methodology adopted in this study is the inductive-analytical method, which involves collecting specific instances, classifying them, deriving overarching general principles governing these instances, and then analyzing them to elucidate the components that contributed to their creativity, interpret their contents and implications, and examine their artistic and aesthetic qualities as well as the underlying meanings.

The research plan consists of an introduction, followed by a preamble divided into two sections: the relationship between Arabs and their swords, and the importance of metonymy in rhetorical studies. These are followed by two main chapters: the first discusses the metonymy related to the power of a sword strike through its physical or moral impact on humans, while the second chapter examines the metonymy related to the power of a sword strike through other methods. The plan concludes with a conclusion that includes the main findings.

Among the key findings of the Study: The metonymic imagery for the power of a sword strike in pre-Islamic poetry was conveyed through multiple methods. Poets' criteria for judging the power of a strike were inspired by the effects of these strikes on various elements from their surrounding environment. These methods were found to fall into two categories: the first focused on measuring the power of a strike through its impact on the human body, while the second described the power of the strike without involving the human body.

Keywords: Power of the Sword Strike, Metonymic Imagery, Poetry, Pre-Islamic Era.

ISSN : 2410-1818

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الكريم، وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين، وبعد.

فمنذ أن خلق الله الإنسان، وأسكنه هذه الأرض، سخر له سبل العيش فيها، وذلل له أسباب عمارتها، وهيأ له من الأدوات ما يعينه على الاستمرار والبقاء فيها؛ ومن ذلك الأسلحة التي تفنن في استعمالها، والاستفادة منها في شتى شؤون حياته.

وقد كان الإنسان العربي في العصر الجاهلي جزءًا من هذا الواقع الإنساني، لكن بيئته الصحراوية الشاسعة المليئة بالمفاوز المهلكة والفيافي الممتدة التي تحمل في جنباتها أسباب الموت والهلاك، وكذلك واقعه الاجتماعي والسياسي المحفوف بالمخاطر؛ كل ذلك فرض عليه علاقة خاصة ومتميزة بسلاحه، تمظهرت بأشكال مختلفة في الأعمال الأدبية التي أبدعها.

ولما كان الشعر أداة مهمة في التعبير عما يخالج الإنسان من أفكار وعواطف، ومشاعر وأحاسيس وظفه لتصوير مشاهداته، وتسجيل انطباعاته، ولا سيما عن سلاحه، فظهرت لنا عند الشعراء الجاهليين صورٌ كثيرة للسلاح وخاصة السيوف، فوصفوا أدق تفاصيلها، وانتبهوا لغامض حركاتها، ولفتوا الأنظار إلى مشاهد الموت العنيفة التي ترتبت على استعمالها، فأنتجوا لوحات كثيرة ومتعددة، تعكس عمقهم في فهم طرائق استعمال السيف وآليات عمله.

وقد قام هذا البحث على رصد جماليات التشكيل الشعري للتصوير الكنائي لقوة ضربة السيف عند الشعراء الجاهليين، ومن ثم الكشف عن العلل والأسرار التي اختزلها التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف في الشعر الجاهلي، لما للسيف من حضور في نفوس هؤلاء الشعراء تجلى في بيانهم، ولما للدرس البلاغي من قدرة على توصيف هذه الصور، والكشف عما وراءها من مضامين ودلالات.

الأهمية العلمية للموضوع

1. الكشف عن المزايا والأسرار البيانية التي اختزلها التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف عند الشعراء الجاهليين ورصد جماليات التشكيل الشعري لهذا التصوير.
2. الوقوف على طرائق الشعراء الجاهليين في كناياتهم عن قوة ضربة السيف، والكشف عن الكنايات المتعددة التي استخدموها لتوصيل المعنى ذاته.
3. الوقوف على المصادر التي استقى منها الشعراء الجاهليون هذه الكنايات، والسياقات التي وردت فيها.

ISSN : 2410-1818

أسباب اختيار الموضوع

1. الأهمية الكبيرة للشعر الجاهلي في التراث العربي، فهو معين زاخر للبحث والدراسة والاستشهاد ورافدٌ مهمٌ من روافد اللغة العربية.
2. الوقوف على المعايير التي اعتمد عليها الشعراء الجاهليون؛ لبيان مقدار قوة الضربة.
3. قدرة الدرس البلاغي على توصيف الصورة، والكشف عما وراءها من مضامين ودلالات.
4. أن للكناية عن قوة ضربة السيف حضورًا واضحًا في الشعر الجاهلي، لكنها لم تحظ- فيما أعلم - بدراسة بلاغية تحليلية مستقلة تكشف ما وراءها من مضامين ودلالات، وما أضافته من قيمة في النص الشعري.

الدراسات السابقة

لم أجد - حسب اطلاعي- من تناول التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف في الشعر الجاهلي، مع وجود كم كبير من الدراسات التي تناولت السيف في الشعر الجاهلي بشكل عام، دون أن يفرد التصوير الكنائي لقوة ضربة السيف ببحث خاص.

منهج البحث

سيكون منهج الباحث في هذه الدراسة هو المنهج الاستقرائي التحليلي، الذي يقوم باستقراء الجزئيات، وتصنيفها واستنباط الكليات الحاكمة لتلك الجزئيات، ومن ثم تحليلها، واستجلاء المكونات التي ساهمت في إبداعها، وتفسير مضامينها وإيحاءاتها، والوقوف على خصائصها الفنية والجمالية والدلالات الكامنة خلف هذه المضامين.

خطة البحث

تتكون خطة البحث من مقدمة، وتمهيد، ومبحثين، وخاتمة.

- التمهيد، وقد جاء في شقين:

الشق الأول: علاقة العربي بسيفه.

الشق الثاني: أهمية الكناية في الدرس البلاغي.

- المبحث الأول: الكناية عن قوة ضربة السيف من خلال وصف تأثيرها في الجسد.
- المبحث الثاني: الكناية عن قوة ضربة السيف عبر طرائق أخرى.

الخاتمة، وتتضمن أهم النتائج والتوصيات.

فهرس المراجع والمصادر.

ISSN : 2410-1818

التمهيد

الشق الأول: علاقة العربي بسيفه.

لقد ارتبط الإنسان منذ القدم بسلاحه ارتباطًا وثيقًا؛ لأنه كان من أهم وسائل حماية حياته، فبه يدافع عن نفسه وعمن يهتم لأمره، وبه يصيد طعامه وطعام أسرته؛ لذا كان للسلاح قيمة كبيرة في نفسه، فالسلاح مرتبط بوجوده على هذه الحياة.

والسِّلاحُ: اسْم جَامع لآلة الْحَرْب، وَخص بَعضهم بِهِ مَا كَانَ من الْحَدِيد، يؤنث وَيذكر، والتذكير أَعلَى[1]، وكان أبو عبيدة يفرقُ بين السّلاح والجُنة، فيقول: السلاح ما قُوتِلَ به، والجُنّة ما اتُّقي به، ويحتج بقوله:

حيثُ تَرى الخيلَ بالأبطال عابسة يَنْهَضْنَ بالهندوانيّاتِ والجُنَنِ[2]

فجعل الجُنَن غَيْرَ السُّيوف.[3]

وقد كان حال العرب في الجاهلية كحال سائر الأمم التي كانت تعيش في ذلك الوقت، فقد كانت أسلحتهم أحد أهم مقومات حياتهم، خصوصًا أنهم يعيشون في بيئة صحراوية قاسية، مما حتم عليهم البراعة في استخدام كل ما من شأنه الحفاظ على حياتهم، ومن ذلك أسلحتهم التي مهروا في استخدامها، ووصفوا لنا هذه المهارة في مآثرهم الأدبية.

وقد اعتاد العرب على التنقل في أرجاء جزيرة العرب المترامية الأطراف للبحث عن كلأ ترعى فيه حيواناتهم؛ لأنها أحد أهم مصادر العيش عندهم، وكانت هذه التنقلات محفوفة بمخاطر كثيرة، بالإضافة إلى وحشة الصحراء، فإنها مليئة بالوحوش والسباع والغيلان -كما كانوا يعتقدون- وقطاع الطريق، ولذلك فقد كان حمل السلاح ضرورة ملحة من ضروريات الحياة، فلا بقاء في هذه الصحراء دون سلاح يحمي صاحبه، ويؤمّن حياته.

---

(1) المحكم والمحيط الأعظم، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ١٩٤/٣

(2) شرح ديوان زهير بن أبي سُلْمى، صنعة أبي العباس أحمد بن يحيى، ثعلب، نسخة مصوّرة عن طبعة دار الكتب 1363هـ – 1944م، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة 1384هـ – 1964م، ص120.

(3) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ – ١٩٧٩م، ٩٤/٣

ISSN : 2410-1818

كما أن الأوضاع السياسية لم تكن مستقرة في جزيرة العرب في العصر الجاهلي، فقد قامت بين القبائل العربية حروب كبيرة طاحنة خلد التاريخ أسمائها والوقائع التي جرت فيها، ومنها أيام العرب الشهيرة كيوم: "البسوس، ويوم داحس، ويوم النسار، ويوم الجفار، وأيام الفجار، ويوم ذي قار، ويوم بعاث، ويوم الذنائب"[1] وغيرها، إضافة إلى المعارك الأقل حجمًا، والتي كانت تجري بينهم على نحو مستمر ولأسباب متعددة، والتي خلدوا أحداثها في أشعارهم، وقد دعا هذا الوضع السياسي المضطرب العرب إلى الاهتمام بأسلحتهم أشد الاهتمام، فلا مناص عن ذلك، فبهذه الأسلحة تُشن الحروب، وبها يُدفع الأعداء.

ومن مظاهر علاقة العرب بسيوفهم، اعتمادهم على أجود أنواع السيوف سواءً كانت هذه السيوف أو معادنها مستوردة من خارج جزيرة العرب كالسيف الهندي، وهو "الْسَّيفُ الْمَطْبوعُ من حَديد الْهِنْد"[2]، أو مصنوعة في جزيرة العرب، ومن ذلك أيضا من مظاهر اهتمام العرب بالسيف كثرة الأسماء التي سموا بها السيف "وقد كان بعض اللغويين حصر أسماء السيف والأسد في لغة العرب، فكانت أوراقًا عدة"[3] وكثرة أسماء السيف تدل على عظيم مكانته في نفوس العرب "فكثرة الأسماء تدل على عظم المسمى"[4].

وتستمد ضربة السيف أهميتها من السيف ذاته وقيمتها المهمة في أداء وظيفته، فغالبًا ما تكون لحظة ضربة السيف لحظة حاسمة بين الحياة والموت، والنجاة والهلاك؛ ولذلك حرص الشعراء الجاهليون على تصوير قوة هذه الضربة، وبيان تأثيرها في المضروب.

ومن هنا يمكن القول بأن السيف لم يكن مجرد أداة حرب عند العرب في الجاهلية فقط، بل كان رمزًا من رموز الحفاظ على الحياة ذاتها، وأن ارتباط العرب بسيوفهم تجاوز حدود الاستخدام العملي ليصبح جزءًا من هويتهم الثقافية والاجتماعية، مجسدًا في أدبهم وشعرهم الذي خلد معاركهم وبطولاتهم، فهو مكون أساسي من مكونات ثقافتهم وتراثهم الذي توارثوه عبر الأجيال.

---

(1) نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م، ٤٥٧/١

(2) معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ٣١٦/١

(3) سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ٥٠/١

(4) السابق

ISSN : 2410-1818

الشق الثاني: أهمية الكناية في الدرس البلاغي

تعد الكناية أسلوبا من أساليب البيان التي استعملها العرب، والكناية مأخوذة من الستر، وكَنَنْتُ الشيء: "سترتُه وصنْته من الشمس".[1]

وسمي هذا النوع كناية، لما فيه من إخفاء وجه التصريح، ودلالة: "كني" على ذلك؛ لأن: (ك، ن، ى) كيفما تركبت، دارت مع تأدية معنى الخفاء؛ من ذلك كنى عن الشيء يكنى إذ لم يصرح به، ومنه: الكُنَى، وهي: أبو فلان، وابن فلان، وأم فلان، وبنت فلان، سميت: كنى، لما فيها من إخفاء وجه التصريح بأسمائهم الأعلام.[2]

وقد عرفها الإمام عبدالقاهر الجرجاني بقوله : "أن يُريد المتكلمُ إثباتَ معنًى من المَعاني، فلا يذكُرُه باللّفظِ الموضوعِ له في اللُّغة، ولكنْ يَجيءُ إلى معنى هو تاليهِ وردِفُه في الوجود، فيومئ به إليهِ، ويجعلهُ دليلًا عليه، مثال ذلك قولُهم: «هو طَويلُ النِّجاد»، يريدونَ طويلَ القامة «وكثيرُ رمادِ القِدْر» يَعْنون كثيرَ القِرى، وفي المرأة: «نَؤومُ الضُّحى»، والمرادُ أنها مُتْرفةٌ مخَدْومة، لها مَنْ يَكفيها أمْرَها، فقد أرادوا في هذا كُله، كما تَرى معنًى، ثمَّ لم يَذْكُروه بلفظِه الخاصِّ به، ولكنّهُم تَوصَّلوا إليه بذِكْر معنًى آخر مِنْ شأنِه أن يَرْدُفَه في الوجود".[3]

ولم تبتعد تعريفات البلاغيين عن تعريف عبدالقاهر، فقد عرفها الفخر الرازي بقوله: "أن تذكر لفظة وتفيد بمعناها معنى ثانيا هو المقصود"[4]، والزمخشري يرى أن الكناية هي: "أن تذكر الشيء

---

(1) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٢١٨٩/٦

(2) مفتاح العلوم، يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م، ٤٠٢/١

(3) دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة – دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ – ١٩٩٢م، ٦٦/١

(4) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العصرية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ، ١٩٠/١

ISSN : 2410-1818

بغير لفظه الموضوع له"[1]، وعرفها السكاكي بقوله: "ترك التصريح بذكر الشيء على ما ذكر ما يلزمه؛ لينتقل من المذكور على المتروك".[2]

ونستشف من هذه التعريفات أن الكناية أسلوب بياني يخرج بالألفاظ عن معناها الظاهر إلى معنى خفي، وهذا المعنى الخفي هو المراد، فالكناية "لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة معناه".[3]

وقد أشار الإمام عبدالقاهر الجرجاني إلى الإجماع على أن الكناية أبلغ من الإفصاح، يقول: "قد أَجمعَ الجميعُ على أن «الكنايةَ» أَبْلَغُ منَ الإفصاحِ، والتعريضَ أَوْقَعُ من التَّصريح، وأنَّ للاستعارةِ مزيةً وفَضلًا، وأنَّ المجازَ أَبدًا أبلَغُ منَ الحقيقة".[4]

وقد قسم البلاغيون الكناية باعتبار المعنى الكنائي المراد ثلاثة أقسام: كناية عن صفة، وكناية عن نسبة، وكناية عن موصوف، ثم قسموا الكناية عن صفة قسمين: قريبة وبعيدة، وقسموا القريبة قسمين: واضحة وخفية، وقسموا الكناية عن نسبة قسمين: كناية عن نسبة في الإثبات، وكناية عن نسبة في النفي[5].

وستكون هذه الدراسة قائمة على النظر إلى الكناية عن صفة من صفات ضربة السيف، وهي (قوة ضربة السيف)، والتي تعددت طرائق الشعراء الجاهليين في تناولها والتعبير عنها.

---

(1) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعي)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ

(2) مفتاح العلوم ٤٠٢/١

(3) التصوير البياني دراسة تحليلية لوسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1993م، ص 366

(4) دلائل الإعجاز ت شاكر ٧٠/١

(5) انظر: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م. ٢١٠/٢ وما بعدها.

ISSN : 2410-1818

المبحث الأول: الكناية عن قوة ضربة السيف من خلال وصف تأثيرها في جسد الإنسان

جاءت بعض كنايات الشعراء الجاهليين قائمة على وصف أثر قوة ضربة السيف على جسم الإنسان، فوصفوا تأثيرها على العظام والرأس واليد والظهر، أو على الجسم كاملًا، كما كنوا عن قوة ضربة السيف بوصف سعة جروح الضربة وانفجار الدماء منها، إلى غير ذلك من الأوصاف التي ارتبطت بجسم الإنسان أو بحالته المعنوية؛ وبيان ذلك كما يلي:

أولًا: الكناية عن قوة ضربة السيف بوصف تأثيرها في العظام

كثرت كنايات الشعراء الجاهليين عن قوة ضربة السيف عن طريق وصف أثرها في عظام الإنسان مقارنة بباقي أجزاء الجسم وذلك لصلابة العظام وقوتها مقارنة باللحم أو الجلد، فالضربة التي تكسر العظم هي لا شك ضربة قوية، ثم إنها لا تصل إلى بعض العظام إلا بعد قطعها للحوم والأعصاب التي تكون عليها، ومن شواهد هذه الكناية قول زُهَير بن جَنَاب مفتخرا بضرب عدو له:

ضَرَبْتُ قَذَالَهُ بِالبُجِّ حَتَّى سمِعْتُ السَّيْفَ قَبْقَبَ فِي العِظَامِ[1]

في قوله: (حَتَّى سمِعْتُ السَّيْفَ قَبْقَبَ فِي العِظَامِ) كناية عن قوة ضربة السيف التي وصلت إلى العظام، وصدر عن اصطدامها بالعظام صوتا وقر في نفسه، فعبر عنه في شعره، وقد جاء ب(حتى) ليربط بها بين ضربة الرأس وصوت الضربة؛ لأن الوقت الممتد بينهما كفيل بجعله يتشفى من خصمه، ونرى أن الفعل (قَبْقَبَ) قد عبر بجرسه عن صوت اصطدام السيف بالعظام مصورا للمتلقي مقدار الضربة التي تلقتها جمجمة هذا الرجل، في اختيار القذال هنا - وهو جماع مؤخر الرأس- إشارة إلى أن المضروب كان هاربًا من زهير، ثم إن في تعريفه لسيفه (البج) بالعلمية إحضاراً له في ذهن السامع؛ لكي يربط به هذه الأفعال، ونرى أنه اعتمد في الشطرين على فعلين ماضيين أسندهما إلى الضمير (ضَرَبْتُ – سمِعْتُ)؛ ليكون معنى الفخر بالشجاعة والاعتداد بالنفس حاضرًا في كل مفاصل التركيب، فقد أدى الإسناد إلى الضمير هنا إلى إبراز ذات الشاعر ومزجها بما يعتد به العربي عادة من شجاعة وقوة.

وقد يكنون عن قوة ضربة السيف بجعل العظام تتشظى وتتطاير تحت ضغط قوتها؛ ومن ذلك قول المتَنَخل الْهُذَلِيّ في سياق يفتخر فيه بشجاعته وإقدامه:

شَرِبْتُ بِجَمِّهِ وَصَدَرْتُ عَنْهُ وَأَبْيَضُ صَارِمٌ ذَكَرٌ إِبَاطِي

---

(1) زهير بن جناب الكلبي، ديوانه، تحقيق: محمد شفيق البيطار، دار صادر – بيروت، 1999 م، ص 101. القذال: جماع مؤخر الرأس، البج سيف بن جناب، قبقب السيف في الضريبة إذا قال قب. والبج سيف زهير بن جناب.

والشاعر هو: زُهَير بن جَنَاب كان زهير في زمن كليب وائل، وكان سيد قومه وشريفهم وخطيبهم وشاعرهم، ووافدهم إلى الملوك، وطبيبهم. طبقات فحول الشعراء ٣٥/١، ابن سلام الجمحي (ت ٢٣٢).

ISSN : 2410-1818

كَلَوْنِ الملْحِ ضَرْبَتُهُ هَبِيرٌ يُتِرُّ الْعَظْمَ سَقَّاطٌ سُرَاطِي[1]

فهذا السيف الأبيض الصارم الذكر الذي يشبه بياض لونه بياض لون الملح، والذي تأبطه هنا لكي يشعر بالأمان والطمأنينة؛ له ضربة قوية كنى عن قوتها بقوله: (يُتِرُّ الْعَظْمَ سَقَّاطٌ سُرَاطِي) فهي تجعل العظام تتشظى وتتطاير تحت وطأة قوتها، ثم يخترق هذا السيف الجسد ويقطعه حتى يلامس الأرض؛ لأن السيف السقاط هو الذي "يسقط من وراء الضريبة يقطعها حتى يجوزَ إلى الأرض"[2]، ثم وصفه بأنه (سُرَاطِي) "وسَيْفٌ سُرَاطٌ وسُرَاطِيٌّ يَمُرُّ في الضَّرِيبة كأنه يَسْتَرِطُ كلَّ شيءٍ يَلْتَهِمُه"[3] كناية عن قوة ضربة هذا السيف وضراوتها، فالعظام مع صلابتها وقوتها لا تشكل تحديا لضربته، ونرى كذلك أثر الألوان في بناء الصورة الكنائية هنا، فنرى اللون الأبيض يبرز في قوله: (وَأَبْيَضُ صَارِمٌ) وكذلك في تشبيهه بياض السيف ببياض الملح؛ لأن في ذلك دلالة على نفاسة معدن هذا السيف، كما مهد بذكر هذا البياض تلطخ هذا السيف بالدماء بعد إعماله في أجساد الأعداء، مما يزيد من تأثير الصورة في نفس المتلقي.

ومن ذلك أيضًا قول سَلامة بن جَنْدَل في يوم جدود، وهو يوم لبني منقر على الحوفزان الشيباني:

وَهَوْذَةَ نَجَّى بَعْدَ مَا مَالَ رَأْسُهُ يَمَانٍ إِذَا مَا خَالَطَ العَظْمَ مِخْدَبُ

فَأَمْسَكَهُ مِنْ بَعْدِ مَا مَالَ رَأْسُهُ حِزَامٌ عَلَى ظَهْرِ الأَغَرِّ وَقَيْقَبُ[4]

---

(1) شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة، 1273/3. جمه: ما اجتمع في البئر من الماء، و الجمة، معظم الماء. قوله: إباطي، يقول: قد تأبط هذا السيف. هبير، أي: يهبر اللحم، أي يقطعه، والهبرة، القطعة من اللحم. والجمع هَبْر، أي: يقطع. يتر العظم، أي يطيره، سقاط، يقول: يقطع الضريبة حتى يسقط خلفها. وسراطى: يسترط ما ضرب واحداً واحداً.

والشاعر هو: المتنخل الهذلي واسمه مالك بن عويمر أحد بني لحيان جاهلي. معجم الشعراء، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م،٣٥٩/١.

وفي لسان العرب: "سيف سراط وسراطي: قاطع يمر في الضريبة كأنه يسترط كل شئ يلتهمه".

(2) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ١١٣٣/٣

(3) المحكم والمحيط الأعظم ٤٣٣/٨

(4) ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، حلب، 1387 هـ - 1968 م، ص 217. هوذة: هو ابن علي الحنفي، ومخدب: جارح، والأغر: اسم فرس أو صفة له، قيقب: سير يدور على القربوسين كليهما.

والشاعر هو: سلامة بن جندل بن عبد عمرو، من بني كعب بن سعد التميمي، أبو مالك: شاعر جاهلي. الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين ١٠٦/٣

ISSN : 2410-1818

وقد بدأ المعنى بقوله: (هوذة) مقدمًا المفعول به على الفعل والفاعل؛ لأنه مهتم به؛ وليبني عناصر المعنى- التي امتدت إلى نهاية البيت الثاني- عليه، وفي قوله: (يَمَانٍ إِذَا مَا خَالَطَ العَظْمَ مِخْدَبُ) كناية عن قوة ضربة هذا السيف التي يصل تأثيرها إلى العظام، كما أن البيت الثاني كله يحمل كناية عن قوة ضربة السيف أيضًا؛ لأنه هذه الضربة جعلت (هوذة) يكاد أن يسقط عن ظهر فرسه لولا أن أمسكه الحزام والقيقب.

ومن شواهد الكناية عن قوة ضربة السيف من خلال وصف أثرها في العظام أيضًا قول امرئ القيس بن حُجْر في سياق حديثه عن عتاده الذي يحارب به:

وَذَا شُطَبٍ غَامِضًا كَلْمُهُ إِذَا صَابَ بِالْعَظْمِ لَمْ يَنْأَدِ[1]

وهنا يشير إلى أنه أعد للحرب سيفًا ذا شطب، ووصفه بأنه (غَامِض كَلْمه)؛ لأهمية الغموض والاختفاء في هذا المعنى، فهذا السيف إذا ضُرب به، فإنه يختفي في الضريبة كناية عن حدة شباه، وفي قوله: (إِذَا صَابَ بِالْعَظْمِ لَمْ يَنْأَدِ) كناية عن قوة ضربته، فهي تصل العظام وتكسرها دون أن ينثني أو يعوج.

وقريب منه قول ذي الإصبَع العَدْوانيّ:

إِمَّا تَرَي سَيْفَهُ فَأَبْيَضُ فَصَّـ ـالٌ إِذَا مَسَّ مُعْظَمًا قَطَعَا[2]

---

[1] ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، 1389 هـ - 1969 م، ص 188. الغامض الذي إذا ضرب به رسب في الضريبة، كلمه: جرحه، لم ينأد: لا ينثني ولا يعوج.

الشُّطْبَةُ طريقَةٌ من مَتْنِ السّيْف والجَميع (شُطَب). تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م، ٢١٧/١١

[2] ذو الإصبع العدواني، حرثان بن محرث، ديوانه، تحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني، وحمد نائف الدليمي، وخطّ أشعاره: يوسف ذنون، مطبعة الجمهور - الموصل، 1393 هـ - 1973 م، ص 62. المعظم: المجتمع.

والشاعر هو: ذو الأصبع العدواني، واسمه حرثان بن حارثة بن محرث ويقال الحارث بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن الحارث، وهو عدوان بن عمرو بن قيس بن عيلان. وقيل له ذو الأصبع لأن أفعى ضربت إبهام رجله فقطعها، وهو أحد الحكماء الشعراء.

المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم، أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م، ١٤٩/١

ISSN : 2410-1818

ففي قوله: (إِذَا مَسَّ مُعْظَمًا قَطَعَا) كناية عن حدة شبا هذا السيف؛ وذلك لأنه عبر بالمساس، وهو اللمس، فهو سيف يقطع الضريبة بمجرد اللمس، فكيف إذا ضرب؟!

ثانيًا: الكناية عن قوة ضربة السيف بوصف تأثيرها في الرأس

ومن طرائق الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضربة السيف وصف تأثيرها في الرؤوس، ومن شواهد ذلك قول أبي قيس صَيفيّ بن الأَسْلَت في رثاء عمرو بن النعمان البياضي الذي قاد الخزرج يوم بعاث وقتل فيه:

عَلَى أَنْ قَدْ فُجِعْتُ بذي حِفَاظٍ ... فَعَاوَدَنِي لَهُ حُزْنٌ رَصِينُ

فَإِمَّا تَقْتُلُوهُ فَإِنَّ عَمْرًا ... أَعَضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ سَنِينُ[1]

في قوله: (أَعَضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ سَنِينُ) كناية عن قوة الضربة التي وجهت لرأس عمرو فأهلكته، وقد جاء (عمرو) معرفًا بالعلمية لإحضاره في ذهن السامع لكي يتخيله بمنعته وحفاظه والسيف العضب داخل في رأسه، وقد بنى المعنى على أسلوب الشرط الذي مزج وربط المعاني التي جاءت في البيت، وأصل قوله: (فَإِمَّا تَقْتُلُوهُ)، فإن تقتلوه، و(ما) الداخلة على (إن) الشرطية زائدة ومؤكدة للمعنى، وقد يكون سبب التوكيد هنا بـ(إن وما) هو قوة الشعور بالحزن والأسى الذي تملك قلب صيفي على مقتل هذا القائد، فأراد أن ينقل هذا الشعور من خلال توكيد المعنى الذي طرحه في هذا البيت، ونلاحظ أن الشرط الذي دخلت عليه (إن) هنا شرط متحقق الوقوع، "وَإِنْ الشَّرْطِيَّةُ شَأْنُهَا أَنْ تَدْخُلَ عَلَى الشَّرْطِ المشْكُوكِ فِيهِ"،[2] فهي في الأصل تدخل على شرط مشكوك فيه، ولكن الشرط في البيت الثاني قد حدث ووقع، فقال: (فإما تقتلوه)، وهو مقتول، لكي يحمل الشرط معنى (ما كان ينبغي أن يُقتل)، وفي قوله: (أَعَضَّ بِرَأْسِهِ عَضْبٌ) استعارة مكنية، حيث شبه السيف بالكائن الحي، وحذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه، وهو (العض) على سبيل الاستعارة المكنية، وفي إسناد العض إلى السيف استعارة تخييلية وهي قرينة المكنية، وفي قوله: (عَضْبٌ سَنِينُ) إطناب بالترادف، والذي جاء لتوكيد معنى الحدة التي كانت في هذا السيف.

---

(1) ديوان أبي قيس بن الأسلت، أبو قيس صيفي بن الأسلت، دراسة وجمع وتحقيق: دكتور حسن محمد باجودة، دار التراث – القاهرة، د.ت، ص 92. الحفاظ: الذب عن المحارم والمنع لها. العضب: السيف الحديد.

والشاعر هو: صيفي بن عامر الأسلت بن جشم بن وائل الأوسي الأنصاري، أبو قيس: شاعر جاهلي، من حكمائهم. كان رأس الأوس، وشاعرهم وخطيبها، وقائدها في حروبها. الأعلام للزركلي ٢١١/٣

(2) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر – تونس، ١٩٨٤ م، ١٦/٢٥

ISSN : 2410-1818

وقد يجعلون عظام الرأس تصيح من قوة ضربات السيوف، يقول مُحرِز بن المكَعبر الضبيّ في يوم الكلاب الثاني وكانت الوقعة بين تميم ومذحج:

خُبِّرَتْ مَذْحِجٌ عَنَّا وَقَدْ كُذِبَتْ أَنْ لَنْ يُوَرِّعَ عَنْ أَحْسَابِنَا حَامِ

دَارَتْ رَحَانَا قَلِيلاً ثُمَّ صَبَّحَهُمْ ضَرْبٌ يُصَيِّحُ مِنْهُ جِلَّةُ الْهَامِ [1]

ففي قوله: (ضَرْبٌ يُصَيِّحُ مِنْهُ جِلَّةُ الْهَامِ) كناية عن قوة ضربات السيوف التي جعلت عظام رؤوس القتلى تصيح طلبًا لإدراك الثأر، وهو اعتقاد عند العرب في الجاهلية، ويسمون الطائر الذي يصيح في هامة المقتول (الصدى)، وهو "طائِرٌ يَصِيحُ فِي هامَةِ المَقْتُولِ إِذَا لَمْ يُثْأَرْ بِهِ...، وَإِنَّمَا كَانَ يزعُم ذَلِكَ أَهلُ الجاهِلية".[2]

وفي البيت الثاني فصلت جملة (ثُمَّ صَبَّحَهُمْ ضَرْبٌ) عن جملة (دَارَتْ رَحَانَا)؛ لكمال الاتصال بين معنيهما، فقد جاءت الجملة الثانية مُنزّلة منزِلة بدل الاشتمال من الأولى؛ لأنها اشتملت على (الضرب بالسيوف)، وهو معنى منطوٍ تحت معنى الحرب الذي كنى عنه بقوله: (دَارَتْ رَحَانَا)، وقد أفاد الفصل هنا توكيدًا لمعنى الجملة الأولى وتنصيصًا على نوعية القتال الذي أثر في مسار المعركة، وهو (الضرب بالسيوف)، وقد استعار الشاعر هنا الرحى للحرب؛ لأن الحرب تطحن الناس، كما تطحن الرحى القمح، ثم إن في اختيار الفعل (دار) دلالة على أن هذا الطحن، وهذا الإهلاك - بجميع أنواع السلاح - يحمل استمرارية معينة تدل عليه مادة (الدوران) التي في الفعل، حتى وإن كان ماضيًا، ودوران الرحى (لوقت قليل) كناية عن أن العدو لا يتحمل قوة هذا الطحن، وكذلك ليفسح مجالًا لوصف ضربات السيوف التي صبحوا بها عدوهم والتي حسمت مصير المعركة.

---

(1) المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف – القاهرة، الطبعة: السادسة، ص252.دارت رحانا: كناية عن بدء الحرب ودورانهم فيها. جلة الهام: عظيماتها، والهام الرؤوس. ويصيح هي: تصوت، وأراد بذلك صوت وقوع الضرب عليها.

والشاعر هو: محرز بن المكعبر الضبي: شاعر جاهلي، من بني ربيعة بن كعب، من ضبَّة.

الأعلام للزركلي ٢٨٤/٥

(2) لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، حواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ، ٤٥٤/١٤، مادة: صدي

ISSN : 2410-1818

ومن شواهد ذلك أيضًا قول الحارث بن حِلزَة اليشكُريّ[1] مفتخرا بشجاعة قومه:

فَنَحْنُ غَدَاةَ الْعَيْنِ يَوْمَ دَعَوْتَنَا ... أَتَيْنَاكَ إِذْ ثَابَتْ عَلَيْكَ الْحَلاَئِبُ

فَجِئْنَاهُمُ قَسْرًا نَقُودُ سَرَاتَهَا ... كَمَا ذُبِّبَتْ مِنَ الْجِمَالِ المصَاعِبُ

بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهَا ... كَمَا ذِيدَ عَنْ مَاءِ الحِيَاضِ الغَرَائِبُ[2]

ففي قوله: (بِضَرْبٍ يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ سَكِنَاتِهَا) كناية عن قوة ضربات السيوف التي جعلت رؤوس المقاتلين تتطاير عن أجسادهم، وقد شبه الشاعر ضرب السيوف الذي يزيل الرؤوس عن الرقاب، بضرب الرعاة للإبل الغرائب بالعصي، وردها عن الحياض، ووجه الشبه مواجهة المتعطش، لشيء ما ورده بأقسى الأساليب، ونرى أنه بدأ بالنكرة (ضرب)؛ ليعظم من شأن هذا الضرب؛ وليثير الرعب والخوف في نفوس المتلقين، وفي قوله: (ذِيدَ عَنْ مَاءِ الحِيَاضِ الغَرَائِبُ) تأخير لنائب الفاعل وتقديم للجار والمجرور (عَنْ مَاءِ الحِيَاضِ)؛ ليجعل ماء الحياض في بؤرة الاهتمام؛ لأن هذه الإبل ترد الماء وهي عطاش، فماء الحياض هنا يمثل لها الحياة بأسرها، ولكن الموت الذي تلبَّس في عصي الرعاة التي ضُربت بها؛ منعها من الورد والشراب.

ومن ذلك أيضًا قول عنترة بن شداد العَبْسي:

وَرِمَاحُنَا تَكِفُ النَّجِيعَ صُدُورُهَا ... وَسُيُوفُنَا تَخْلِي الرِّقَابَ فَتَخْتَلِي

وَالْهَامُ تَنْدُرُ بِالصَّعِيدِ كَأَنَّمَا ... تُلْقِي السُّيُوفُ بِهَا رُؤوسَ الحَنْظَلِ[3]

فقد شبه رؤوس المقاتلين التي سقطت على الأرض بفعل ضربات السيوف بالحنظل المتساقط على الأرض، كناية عن قوة ضربات السيوف، التي أحدثت هذا المشهد الدموي، وقد عبر بجموع الكثرة (رِمَاحُنَا - سُيُوفُنَا - رؤوس)؛ ليُظهر للمتلقي مقدار الجهد القتالي وحجمه الذي جرى في هذه الموقعة وعظيم بلاء المقاتلين فيها، وهو ما جعل الرؤوس تتساقط وتتبعثر كحبات الحنظل، ثم إن

---

[1] والشاعر هو: الحارث بن حلزة بن مكروه بن يزيد اليشكري الوائلي، شاعر جاهلي، من أهل بادية العراق. الأعلام للزركلي ١٥٤/٢.

[2] ديوان الحارث بن حلزة، الحارث بن حلزة اليشكري، تحقيق: فريتس كرنكو، مجلة المشرق، السنة العشرون، العدد السابع، تموز 1922 م، ص 29. ذيد: من ذاد الشيء دفعه وطرده. والحياض: جمع حوض مجمع الماء، الغرائب جمع غريبة مؤنث غريب، والغريب: ما ليس مألوفا.

[3] ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي، ص 257. قوله: (تكف)؛ يريد: تقطر ؛ يقال: وكف البيت: إذا هطل. و (النجيع): دم الجوف خاصة. وقوله: والهام تندر بالصعيد: أي تتساقط. يقال: أَنْدَرْتُهُ فَنَدَرَ : إذا قَطَعْتُهُ، وأَبَنْتُهُ من غيره. والصعيد: وجه الأرض.

ISSN : 2410-1818

في إسناد إهراق الدماء إلى صدور الرماح مجازًا عقليًا؛ لأن من يسفك الدماء هم حملة الرماح والرماح آلة هذا السفك، وكذلك الحال في إسناد تخلية الرقاب إلى السيوف، وفي قوله: (تُلْقِي السُّيُوفَ) مجاز عقلي أيضًا، حيث أسند الإلقاء إلى السيوف، بينما هي آلة هذا الإلقاء، فالفاعل الحقيقي هم المقاتلون الذين يضربون رؤوس الأعداء، فتسقط على الأرض؛ وبذلك جعل للسيوف إرادة خاصة بها، وهذه الإرادة هي من حفز السيوف للمشاركة في القتال.

كما يكنون عن قوة ضربة السيف بشق الرؤوس؛ ومن ذلك قول عمرو بن كُلثوم:

نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا وَنُخْلِيهَا الرِّقَابَ فَيَخْتَلِينَا[1]

ففي قوله: (نَشُقُّ بِهَا رُؤُوسَ الْقَوْمِ شَقًّا) كناية عن قوة ضربات هذه السيوف، فليس من السهل أن تُشق الجماجم بالسيوف إلا إذا كانت الضربات قوية، وقد عبر الشاعر هنا بالكل (القوم) عن الجزء وهم القتلى من القوم، مبالغة في وصف الشجاعة والبسالة التي يتمتع بها قومه، وقد أكد معنى شق الرؤوس هنا بالمفعول المطلق، كناية عن شدة الضرب وحدة السيوف، وقد فصل بين الفعل والفاعل وبين المفعول به بالجار والمجرور (بها)؛ لاهتمامه بهذه السيوف، كما أن استعمال الجموع هنا (رُؤُوسَ -الرِّقَابَ) جاء ليبيان مقدار القتلى الذين يتساقطون أمام ضربات هذه السيوف، وقد جعل للسيوف إرادة عاقلة إن عبر إسناد الاختلاء إليها في قوله: (فَيَخْتَلِينَا)، فجعلها مشاركة بقصد وتعمد في قطع رقاب الأعداء.

ومن شواهد ذلك قول بلعاء بن قيس الكناني:

وَفَارِسٍ فِي غِمَارِ الْمَوْتِ مُنْغَمِسٍ إِذَا تَأَلَّى عَلَى مَكْرُوهِهِ صَدَقَا

غَشَّيْتُهُ وَهْوَ فِي جَأْوَاءَ بَاسِلَةٍ عَضْبًا أَصَابَ سَوَاءَ الرَّأْسِ فَانْفَلَقَا[2]

---

(1) شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف [سلسلة ذخائر العرب (٣٥)]، الطبعة: الخامسة، ٣٩٦/١. نشق بها، معناه بالسيوف. و(نخليها الرقاب) معناه نجعل الرقاب لها كالخلي والخلى: الحشيش.

(2) شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ)، حققه غريد الشيخ ووضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية في بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.٤٦/١. العضب: القطع، وسيفٌ عضبٌ أي قاطع، قوله غشيته، هو كما يقال قنعته، جَأْوَاءَ بَاسِلَة: جيشٍ تام السلاح كريه اللقاء، والسواء: الوسط، والشاعر هو: بلعاء بن قيس الكناني، رأس بني كنانة في أكثر حروبهم ومغازيهم، وكان كثير الغارات على العرب وهو شاعر محسن. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ١٣٣/١ — الآمدي، أبو القاسم (ت ٣٧٠)

ISSN : 2410-1818

ففي البيت الثاني كناية عن قوة ضربة السيف، فبلعاء يصف هنا ضربته لهذا الفارس المغوار الذي ينغمس في الحروب ولا يبالي، فقد ضربه بسيفه العضب في وسط رأسه، فانفلق رأسه وانقسم إلى قسمين، وفي هذا دلالة على قوة الضربة وحدة السيف.

وقد يمتد أثر قوة الضربة إلى أكثر من ذلك، كما في قول الحارث بن ظالم المري في قتله لخالد بن جعفر:

فَأَضْرِبُهُ بِالسَّيْفِ يَأفُوخَ رَأْسِهِ فَصَمَّمَ حَتَّى نَالَ نُوْطَ القَلَائِدِ[1]

ففي قوله: (فَصَمَّمَ حَتَّى نَالَ نُوْطَ القَلَائِدِ) كناية عن قوة هذه الضربة، والتي ابتدأت من ملتقى عظمتي الرأس، ولم تتوقف حتى بلغت منتصف صدره، فشقت أعلاه إلى شقين، ونرى أنه استعمل كلمة (يأفوخ) هنا للدلالة الدقيقة على الموضع الذي وقعت عليه الضربة، وقد أعطت هذه الكلمة جرسًا مؤثرًا ومناسبًا للمعنى، ثم إن الفاءات في الفعلين (فَأَضْرِبُهُ – فَصَمَّمَ) قد ربطت بين أجزاء المعنى؛ لأن المعنى يدور هنا حول أحداث متسارعة ومتتالية.

ومن ذلك قول أَوْس بن غَلْفاء الهُجَيْميّ يهجو يزِيد بن الصَّعق الْكلابِي:

وَهُمْ ضَرَبُوكَ ذَاتَ الرَّأْسِ حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ العِظَامِ[2]

ففي البيت كناية عن قوة ضربة السيف التي أصابت (يزيد) بدلالة كسر الجمجمة وظهور جلدة الدماغ، وفي قوله: (بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ) شبه الشاعر الجلدة المحيطة بالدماغ بالأم، وحذف المشبه وصرح

---

(1) ديوان الحارث بن ظالم المري، الوافي الفاتك، الحارث بن ظالم المري، تحقيق: عادل جاسم البياتي، بغداد، نشر الديوان في: دراسات في الأدب الجاهلي، مباحث تراثية ونصوص دينية وتراجم، الجزء الثاني، ١٩٨٦ م،379. صمم: مضى، ونياط كل شيء مُعَلقه، اليأفوخ: حيث التقى عظم مقدَّم الرأس وعظم مؤخره، وهو الموضع الذي يتحرك من رأس الطفل. لسان العرب، مادة: أفخ.

والشاعر هو: الحارث بن ظالم بن غيظ المري، أبو ليلى: أشهر فتاك العرب في الجاهلية. الأعلام للزركلي ١٥٥/٢

(2) الأصمعيات اختيار الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر – عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م، ص233.

ترجمة الشاعر: هو من بنى الهجيم بن عمرو بن تميم. وهو جاهلي.

الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣ هـ٦٢١/٢ — ابن قتيبة (ت ٢٧٦).

ISSN : 2410-1818

بالمشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، فأم الدماغ هي "الجِلْدَةُ الرّقيقةُ التي أُلْبِسَتَ الدِّماغَ فَأَحَاطَتْ به"[1]، ولعل تسمية هذه الجلدة بأم الدماغ؛ لأنها تحيط بالدماغ، وتجمعه إلى بعضه.

ثالثًا: الأثر الواقع على أجزاء أخرى من الجسم

ومن طرائق الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضربة السيف وصف تأثيرها في أجزاء أخرى من جسم الإنسان - غير العظام والرؤوس- التي كثر استعمالهم لها لوصف مقدار قوة الضربة، فمن تلك الأجزاء (الرقاب) يقول عامر بن الطفَيْل العامري:

وَأَبْيَضَ يَخْطَفُ القَصَرَاتِ عَضْبٍ رَقِيقِ الْحَدِّ زَيَّنَهُ غُمُودُ[2]

ففي قوله: (وَأَبْيَضَ يَخْطَفُ القَصَرَاتِ) كناية عن قوة ضربات هذا السيف، وقد استعار الشاعر الخطف لضرب السيف أصل العنق، والخَطْفُ: "الاسْتِلابُ، وقيل: الخَطْفُ الأَخْذُ في سُرْعةٍ واسْتِلابٍ"[3]، ووجه الشبه هو السرعة والمهارة، حيث إن الخطف والاستلاب يكون بسرعة ومهارة، وكذلك ضربة السيف هنا، ثم اشتق من الخطف الفعل يخطف بمعنى يضرب على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وقد بدأ البيت بصفة من صفات هذا السيف (أبيض)، وهنا إيجاز بالحذف، فأصل التركيب (وسيف أبيض)؛ وذلك مسارعة إلى وصف السيف بهذا الوصف للإعلاء من قيمته ومكانته، وهو ما جعله يعدد صفات هذا السيف أيضًا، وفي قوله: (زَيَّنَهُ غُمُودُ) تقديم للمفعول به (الضمير المتصل العائد على السيف) على الفاعل (غمود)؛ وذلك لأن معنى البيت يدور حول السيف، والغمود: "جمع غمد أي: أنه سيف مصون لا مبتذل، فهو في غمده صقيل إلى وقت الحاجة إليه".[4]

ومن ذلك (**الأيدي**) ومن شواهد ذلك قول زهير بن أبي سلمى مفتخرا بقوة بيانه:

أَكُفُّ لِسَانِي عَنْ صَدِيقِي وَإِنْ أُجَأْ إِلَيْهِ فَإِنِّي عَارِقٌ كُلَّ مَعْرَقِ

---

(1) الكنز اللغوي في اللسن العربي ١٦٧/١ — ابن السكيت (ت ٢٤٤).

(2) ديوان عامر بن الطفيل برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر – بيروت، عام ١٣٩٩ هـ – ١٩٧٩ م. ص 49.

والشاعر هو: عامر بن الطفيل بن مالك بن جعفر العامري، من بني عامر بن صعصعة: فارس قومه، وأحد فتاك العرب وشعرائهم وساداتهم في الجاهلية. الأعلام للزركلي ٢٥٢/٣

(3) لسان العرب، مادة خطف.

(4) عامر بن الطُّفَيْل: ديوانه، ص 49.

ISSN : 2410-1818

بِرَجمٍ كَوَقْعِ الْهُنْدُوانِيِّ أَخْلَصَ الصـ صَيَاقِلُ مِنْهُ عَنْ حَصِيرٍ وَرَوْنَقِ
إِذَا مَا دَنَا مِنَ الضَّرِيبَةِ لَمْ يَخِمْ يُقَطِّعُ أَوْصَالَ الرِّجَالِ وَيَنْتَقِي
تَطِيحُ أَكُفُّ الْقَوْمِ فِيهَا كَأَنَّمَا تَطِيحُ بِهَا فِي الرَّوْعِ عِيدَانُ بَرْوَقِ[1]

والشاعر هنا يشبه وقع بيانه بوقع سيف شحذته الصياقل حتى صار حادًا ومسنونًا، إضافة إلى أن صاحبه يعرف أين يضرب به، ثم شبه أكف الرجال الذين ضُربوا بهذا السيف، والتي تقطعت وتناثرت أكفهم بعيدان نبات البورق المتقطعة والمتناثرة، والجامع هنا الضعف واللين، وهو كناية عن قوة ضربات السيوف التي أطارت هذه الأيدي.

وقد يكنون عن قوة ضربة السيف من خلال وصف تطييرها للسواعد، يقول عمرو بن كُلثوم:

وَمَا مَنَعَ الظَّعَائِنَ مِثْلُ ضَرْبٍ تَرَى مِنْهُ السَّوَاعِدَ كَالقُلِينَا[2]

وفي البيت كناية عن قوة ضربات السيوف التي ظهر تأثيرها في السواعد التي تتطايرت، كما تتطاير ألعاب الأطفال، والقلون "جمع قلة، وهي خشبة يرفعها الصبيان، ثم يضربون بها الأرض، وقال غيره يرفعونها بخشبة أخرى يضربونها، وتلك الخشبة التي يرفعونها بها تسمى القال فشبه السواعد إذا قطعت فطارت بها".[3]

كما يكنون عن قوة ضربة السيف بذكر أثرها في **(الظهر)** ومن شواهده ذلك قول بِشْر بن أبي خازم في معرض فخره بأفعال قومه في قبائل العرب:

وَسَعْدًا قَدْ ضَرَبْنَا هَامَ سَعْدٍ بِأَسْيَافٍ يُقَصِّمْنَ الظُّهُورَا[4]

ففي قوله: (بِأَسْيَافٍ يُقَصِّمْنَ الظُّهُورَا) كناية على قوة ضربات هذه السيوف؛ لأن كسر الظهر المكون من العظام القوية لا يكون إلا إذا كانت الضربات قوية وشديدة، ونرى في الشطر الأول عدول الشاعر عن التعبير بالضمير إلى التعبير بالاسم الظاهر (سعد) مع أن كان بإمكانه الاستغناء

---

(1) شرح ديوان زهير بن أبي سُلمى" بصنعة أبي العباس أحمد بن يحيى، ثعلب ص250.

(2) شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م،١/٣٤٦

(3) السابق.

(4) ديوان بشر بن أبي خازم، عُني بتحقيقه: د. عزة حسن، دمشق، 1379 هـ – 1960 م، ص 93. سعد: هم بنو سعد بن زيد بن مناة من تميم.

ISSN : 2410-1818

عن ذكر الاسم الظاهر والاكتفاء بالضمير؛ وذلك لإحضار هذا الاسم في ذهن السامع في هذا السياق، وللتلذذ بذكر قبائل (سعد)، وهم في هذه الحال والتأكيد على كسر ظهورهم بالسيوف، وتقرير ذلك في الأذهان، ونرى أنه عبر بالهامات عن الأجساد؛ لأن خطر الموت يكمن في ضرب الرؤوس أكثر منه في سائر الجسد، كما يدل على مهارة المقاتلين ومعرفتهم بالمقَاتل، وقد عبر بجمع القلة (أسياف) للدلالة على ضعف بني سعد، فالأسياف القليلة والرجال الأشداء القلائل يستطيعون قصم ظهور (مقاتلي حي سعد).

وقد يمتد تأثير ضربات السيوف؛ ليشمل **(الجسم بأكمله)** ومن شواهد ذلك قول بَشَامَة بن الغَدِير مفتخرا:

كَمْ مِنْ رَئِيسٍ فَرَيْنَاهُ بِأَجْمَعِهِ بِالمَشْرَفِيَّةِ حَتَّى يَعْدِلَ الصَّعَرُ[1]

وقد بدأ البيت ب(بكم الخبرية)؛ ليدلل عن كثرة وقوع مثل هذا الفعل منهم، وأنهم عُرفوا بذلك، وفي قوله: (فَرَيْنَاهُ بِأَجْمَعِهِ بِالمَشْرَفِيَّةِ) كناية عن قوة وشمول ضربات سيوفهم التي وقعت على هذا الرئيس، "وفَرَيْت الشّيء بالسَّيف وبالشَّفْرة: قطعته وشَقَقْته"[2]، وقد جعل الفري لجسمه كله؛ لأنه هذا النوع من الضرب هو ما يداوي الغطرسة والصعر، وقد أفاد التضاد بين (يَعْدِل والصَّعَر) تهكمًا بهذا الرئيس واستنقاصًا من قدرة؛ فلم تحمه غطرسته من ضربات السيوف.

ومن ذلك أيضا قول مالك بن خالد الخناعيّ:

إِذَا أَدْرَكُوهُمْ يَلْحَفُونَ سَرَاتَهُمْ بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الْحَصِيرَ الشَّوَاطِبُ[3]

ففي قوله: (بِضَرْبٍ كَمَا جَدَّ الْحَصِيرَ الشَّوَاطِبُ) كناية عن قوة ضربات سيوفهم، وشمولها لأجساد الأعداء، حيث شبه الشاعر ضرب السيوف لأجساد مقاتلي الأعداء وتمزيقها بتقطيع وتمزيق

---

(1) ديوان بشامة بن الغدير، بشامة بن الغدير، تحقيق: عبد القادر عبد الجليل، نشر في مجلة المورد، مجلة فصلية تراثية تصدرها وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، المجلد السادس، العدد الأول، 1397 هـ - 1977 م، ص228.

والشاعر هو: بشامة بن الغدير هو عمرو بن هلال بن سهم بن مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان بن بغيض. شاعر محسن مقدم وهو خال زهير بن أبي سلمى المزني. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء ٨٠/١

(2) كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٢٨٠/٨

(3) شرح أشعار الهذليين، للسكري 1/. جد: قطع. والشاطبة: التي تعمل الحصير. يلحفون: مَثَل، كأنهم يجعلون لهم لحافا من الضرب، يلحفونهم بالسيوف، والشاعر هو: مالك بن خالد الخناعيّ، بطن من هذيل، وهو خناعة بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر. شاعر جاهلي. الكتاب لسيبويه ج5/ 501.

ISSN : 2410-1818

الشواطب للحصير، بجامع تحويل الشيء الملتئم إلى أجزاء وقطع بخبرة ودراية، وفي قوله: (إِذَا أَدْرَكُوهُمْ) دلالة على أن الأعداء فروا هاربين، وهؤلاء الفرسان من ورائهم يضربونهم بالسيوف، وهو تشبيه حسن؛ لأن الشاعر عضد التشبيه بالاستعارة حيث استعار الإلحاف للضرب في قوله: (يَلْحَفُونَ سَرَاتَهُمْ)؛ ليشير إلى أن السيوف تكاثرت على هؤلاء الأعداء فغطتهم،كما يغطي اللحاف النائم، كناية عن الإحاطة بهم، ثم نكر الضرب ليدلل على قوته وشراسته.

وقد يكنون عن قوة ضربة السيف عبر وصف **(سعة الجرح)** الذي تسببت فيه هذه الضربة، ومن شواهد ذلك قول المتَنَخل الْهُذَلِيّ في سياق يصف فيه عتاده الذي يقاتل به، حيث يقول في وصف سيفه:[1]

مُنْتَخَبِ اللُّبِّ لَهُ ضَرْبَةٌ ... خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ

أَفْلَطَهَا اللَّيْلُ بِعِيرٍ فَتَسْـ ... ـعَى ثَوْبُهَا مُجْتَنِبُ المعْدِلِ[2]

ففي قوله: (لَهُ ضَرْبَةٌ خَدْبَاءُ كَالْعَطِّ مِنَ الْخِذْعِلِ) كناية عن قوة هذه الضربة التي يُشْبه موضعها في جسد العدو بالشق في ثوب المرأة المجنونة التي انشق ثوبها عندما فزعت وخافت، بجامع التمزق والانشقاق، وفي قوله: (لَهُ ضَرْبَةٌ) جاء المسند إليه المبتدأ (ضربة) نكرة؛ لقصد التهويل والتعظيم من شأن هذه الضربة، فهذا التنكير يوحي للمتلقي بأن الضربة ضربة من نوع مختلف عن الضربات المعروفة، ثم إن هذا الجو من الجنون والحمق والهوج التي يحمله هذا التشبيه يشير إلى شعور بعدم المبالاة بالأعداء أثناء القتال، وقد عضد هذا المعنى بوصف السيف بـ(مُنْتَخَبِ اللُّبِّ) أي: أهوج لا عقل له، تُخشى ضرباته.

ومن طرائق الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضربات السيوف وصف اندفاع الدماء بعد هذه الضربات، ومن ذلك قول الحارث بن حِلِزَة اليشكُريّ:

فَجَبَهْنَاهُمُ بِضَرْبٍ كَمَا يَخْـ ... ـرُجُ مِنْ خُرْيَةِ المزَادِ الماءُ[3]

---

[1] السابق. منتخب اللب أي: منخوب اللب كأنه ليس له عقل. والخدب الاسترخاء، وركوب من الرجل لرأسه، وهو مثل الهوج. والعط، الشق. الخذعل، المرأة الحمقاء.

وقوله: مجتنب المعدل، أي اجتنبت الطريق فمر ثوبها بشجرة فشققته.

[2] شرح أشعار الهذليين، للسكري 3/1259- 1260.

[3] شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات ٤٩٤/١. الخربة: عزلاء المزادة وهو مسيل الماء منها، فشبه خروج الدم ونزوه من الجرح بخروج الماء من فم تلك العزلاء.

ISSN : 2410-1818

فالبيت فيه كناية عن قوة ضربات سيوف قوم الحارث؛ وذلك لتشبيهه خروج الدم وتدفقه من أجساد الرجال عند تلقيهم ضربات السيوف؛ بخروج الماء واندفاعه من فم المزادة، بجامع اندفاع سائل معين بشكل قوي من حيز مكاني ضيق؛ مما يجعل الاندفاع قويًا جدًا، وقد بدأ البيت بالفاء التي يترتب ما بعدها على ما قبلها، حيث كان حديثه قبل هذا البيت عن قوة الأعداء وسطوتهم، ثم عبر بصيغة الماضي (جَبَهْنَاهُمُ)؛ لينبه على تحقق وقوع هذا الفعل، واختياره للجبه هنا جاء للإمعان في إذلال الأعداء، ومعناه أننا "تلقينا جباههم"[1] بالضرب، فتفجرت الدماء منها بهذه الغزارة، ثم جاء بالضرب نكرة للتعظيم والتفرد، فهو ضرب لا مثيل له.

ومثله قول لقيط بن زرارة بعد مقتل أشيم بن شراحيل:

تَنَاوَلَهُ بِشْرُ بْنُ عَمْرٍو بِضَرْبَةٍ عَلَى النَّحْرِ بَلَّتْ جَيْبَ سِرْبَالِهِ دَمَا[2]

ففي قوله: (بَلَّتْ جَيْبَ سِرْبَالِهِ دَمَا) كناية عن قوة ضربة سيف بشر بن عمرو التي تناول بها أشيم، مما جعل الدماء تنفجر من نحره، حتى بلت جيب سربال.

وقد يكنون عن قوة ضربة السيف بوصف تأثيرها في أعصاب المضروب وافتقاد قدرته على السيطرة على نفسه؛ ومن ذلك قول الحارث بن ظالم المري في قتله خالد بن جعفر:

بِاللهِ قَدْ نَبَّهْتُهُ فَوَجَدْتُهُ رِخْوَ اليَدَيْنِ مُوَاكِلاً عَسْقَالَا

فَعَلَوْتُهُ بِالسَّيْفِ أَضْرِبُ رَأْسَهُ حَتَّى أَضَلَّ بِسَلْحِهِ السِّرْبَالَا[3]

ويقسم الحارث هنا على أنه نبه (خالد بن جعفر) قبل قتله حتى يستعد للقتال، ولكنه وجده ضعيف اليدين لا قدرة له على المواجهة، وقد أكد المعنى بالقسم وب(قد)؛ لأنه أُتهم بأنه غدر بخصمه

---

(1) شرح القصائد العشر، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت ٥٠٢هـ)، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢ هـ ١/٢٨٤.

(2) كتاب الدِّيبَاج، أبو عبيدة معمر بن المثنى التيمى (ت ٢٠٩هـ) تحقيق: عبدالله بن سليمان الجربوع وعبدالرحمن بن عثيمين، مكتبة الخانجي القاهرة، 1991م، ص151.

السِّرْبالُ: القَميص والدِّرْع، وقيل: كُلُّ ما لُبِسَ فهو سِرْبالٌ. لسان العرب، مادة سربل.

ترجمة الشاعر: لقيط بن زُرارة بن عدس الدارميّ، من تميم، فارس شاعر جاهلي، من أشراف قومه. الأعلام للزركلي ٥/٢٤٤، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦).

(3) الحارث بن ظالم المري، الوافي الفاتك، ديوانه 381، والعَساقِل السَّرابُ جُعِلا اسماً لواحد.. قال الأَزهري: وقِطَعُ السَّراب عساقِل. لسان العرب، مادة:: عسقل.

ISSN : 2410-1818

وهو نائم، ولكن في قوله: (رِخْوَ اليَدَيْنِ مُوَاكِلَاً عَسْقَالَا) ما يدل على تيقنه من ضعف خصمه، فلم يكن هناك تكافؤ في القتال بينهما، ثم إن هناك طباقاً خفياً بين (التنبه) الذي يحمله قوله: (نَبَّهْتُهُ) وبين الغفلة التي حملها قوله: (رِخْوَ اليَدَيْنِ)، وفي هذا الطباق زيادة إيضاح للمعنيين، وقد فصل جملة (فعلوته بالسيف) عن (أَضْرِبُ رَأْسَهُ)؛ لأن الجملة الثانية جاءت مُنزّلة منزلة البدل المطابق من الأولى، وفيها إيضاح للجملة الأولى وتنصيص على الفعل الذي قام به، وهو (ضرب الرأس)، ثم إن استعمال الماضي والمضارع في قوله: (فَعَلَوْتُهُ بِالسَّيْفِ أَضْرِبُ رَأْسَهُ) جاء متسقًا مع السياق والحالة الشعورية للشاعر، فقد جاء بالفعل الماضي (فَعَلَوْتُهُ)؛ ليقطع بضربه لخصمه، ثم جاء المضارع (أَضْرِبُ) للدلالة على أن الضرب قد امتد لوقت معين، وفي ذلك تشف من الخصم، وقد عضد معنى الاستمرارية ب(حتى) التي جعلت معنى الفعل مستمرًا حتى أضل الخصم بسلحه السربال، كناية عن قوة الضربة التي جعلته يفقد السيطرة على نفسه، وفي الإشارة إلى هذا المعنى تهكم واستهزاء بخصمه الذي كان من سراة قومه وقادتهم، وقد وجد البحث أن كلمة (حتى) تتكرر في أكثر من شاهد من شواهد التصوير الكنائي عن قوة ضربة السيف مثل: (ضَرَبْتُ قَذَالَهُ بالبُجِّ حَتَّى سمِعْتُ - حَتَّى بَدَتْ أُمُّ الدِّمَاغِ مِنَ العِظَامِ - فَصَمَّمَ حَتَّى نَالَ نُوْطَ القَلَائِدِ - حَتَّى أَضَلَّ بِسَلْحِهِ السِّرْبَالَا - أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ بِبَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا)؛ ولعل في ذلك دلالة على أن من الغايات التي انطوت تحت هذه الكنايات التشفي ممن وقعت عليهم ضربات السيوف؛ لأن في (حتى) دلالة على استمرارية هذا الضرب لوقت معين قبل أن تظهر النتيجة؛ وبهذا تتناسق الكنايات مع السياقات التي جاءت فيها والتي تتفجر بروح الغضب والتشفي والانتقام الذي ازدحمت به نفوس هؤلاء الشعراء.

وقد يكنون عن قوة ضربات السيوف عبر وصف مدى تأثيرها في معنويات المقاتلين، ومن شواهد ذلك قول المسيب بن علس في وصف القتال:

كغماغمِ الثيرانِ بينهمُ ضربٌ يغمّض دونه الحدقُ[1]

ففي قوله: (ضربٌ يغمّض دونه الحدقُ) كناية عن شدة هذه الضربات وقوتها بدلالة قوة وقعها في النفوس، والذي نتج عنه تغميض الحدق لهول ما هم فيه من الكرب والشدة، فهو اشتباك وجلاد عنيف لا يستطيعه إلا أشجع الرجال وأجسرهم قلوبًا، ثم إن في مزجه بين وصف أصوات المقاتلين

---

(1) المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ – ١٣٨٦ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية – حيدر آباد الدكن، الهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م]، ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان [الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٤ م]، ٩٧٦/٢. وغماغم الثيران: أصواتها، وعماعم الثيران بالعين جاعاتها، يقول: هذا الضرب إذا رآه الإنسان غمض عينيه من هوله"، والشاعر هو: المسيب بن علس بن مالك بن عمرو ابن قمامة، من ربيعة بن نزار: شاعر جاهلي. الأعلام للزركلي ٢٢٥/٧

ISSN : 2410-1818

وحركة أعينهم دلالة على أنه حضر مثل هذا الجلاد والقتال عن قرب، أو شارك فيه، وفي تشبيه لأصوات المقاتلين في هذه المعركة بأصوات غمغمة الثيران دلالة على أنهم بلغوا أقصى حالات العنف والاضطراب في هذا القتال.

وقد يكنون عن قوة ضربات السيوف بوصف تأثيرها المعنوي على المقاتلين أو على من يناصرهم، ومن شواهد ذلك قول الفِنْد الزمانيّ في حرب البسوس مفتخرا بفعال قومه:

شَدَدْنا شدَّةَ اللَّيْثِ غدَا وَاللَّيْثُ غَضْبَانُ
بِضَرْبٍ فِيهِ تَأْثِيمٌ وَتَفْجِيعٌ وَإِرْنَانُ[1]

وهنا يشبه الفند غارتهم على أعدائهم بغارة الليث على فريسته، وقلبه يتمعر من الغيظ والغضب، وقد عدل في الشطر الثاني عن التعبير بالضمير إلى التعبير بالاسم الظاهر (الليث)؛ ليزيد من إظهار قوتهم عبر تشبيه شَدّتهم بشدة الليث؛ لأن المقام يستدعي ذلك، فهو يمهد بهذا لذكر ضرب السيوف العنيف والفتاك الذي جاء في الشطر الثاني، وفي قوله: (بِضَرْبٍ فِيهِ تَأْثِيمٌ وَتَفْجِيعٌ وَإِرْنَانُ) كناية عن شدة ضربات السيوف وعنفها وفتكها، وقد أدى توالي النكرات (تَأْثِيمٌ وَتَفْجِيعٌ وَإِرْنَانُ) إلى إشاعة جو من الترهيب والتهويل يناسب سياق المعنى، فهو ضرب يدخل في دائرة الآثام؛ لأنه لا رحمة فيه، وينتج عنه التفجع والتوجع من الضربات، أو من فقد الأحبة، وهو ما يؤدي إلى الإرنان، وهو البكاء الذي يصاحبه الشهيق.

(1) ديوان الفند الزماني، الفند الزماني، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد، 1407 هـ، نشر في: مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السابع والثلاثون، (ربيع الأول 1407 هـ – كانون الأول 1986 م)، ص 288 – 313، ص26. المأْثَمُ: الأَمرُ الَّذِي يَأْثَمُ بِهِ الإِنسان. لسان العرب، مادة: أثم. والفجيعة: الرَّزِيَّةُ المُوجِعةُ بما يَكْرُم. لسان العرب، مادة: فجع. والإرْنان صوتُ الشَّهيقِ مع البكاء. لسان العرب، مادة: أرن، والشاعر هو: الفِنْد الزِّمَّاني هو شهل بن شيبان بن ربيعة بن زمّان الحنفي، من بني بكر بن وائل، شاعر جاهلي. كان سيد بكر في زمانه، وفارسها وقائدها. الأعلام للزركلي ١٧٩/٣.

ISSN : 2410-1818

المبحث الثاني: الكناية عن قوة ضربة السيف عبر طرائق أخرى

من أساليب الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضربات السيوف استخدام كنايات لا يكون جسد الإنسان أو أحواله طرفًا فيها، فيكون مصدر الكنايات مأخوذًا إما من أحوال السيف ذاته، أو من أحوال مرتبطة بالبيئة التي يعيش فيها الشاعر كأحوال الحيوانات أو النباتات؛ ومن ذلك ما أخذوه من أحوال الإبل، حيث شبهوا آثار ضربات السيوف في الأجساد بمشافر الإبل المتهدلة؛ ومن ذلك قول دِرْهم بن زيد مخاطبًا مالك بن عجلان الذي هدد سمير بن زيد -أخو الشاعر- بالقتل بعد أن قتل سمير جارًا لمالك:

مَنَعْنَا عَلَى رَغْمِ ابْنِ عَجْلَانَ ضَيْمَنَا ... بِمُرْهَفَةٍ كَالمِلْحِ مُحْدَثَةِ الصَّقْلِ

ضَرَبْنَاهُمُ حَتَّى اسْتَبَاحَتْ سُيُوفُنَا ... حِمَاهُمْ فَوَلَّوْا هَارِبِيْنَ مِنَ الْقَتْلِ

وَرَدَّ سَرَاةَ الْأَوْسِ مَا قَالَ مَالِكٌ ... بِضَرْبٍ كَأَفْوَاهِ المعَبَّدَةِ الْهُدْلِ[1]

والشاعر هنا يفتخر ببسالة ومنعة صليبته، الذين تحاموا لأخيهم، فمنعوا ابن عجلان من النيل منه؛ وذلك بضرب السيوف المرهفة التي صُقلت حديثًا، وقد دل امتداد ذكر السيوف في الأبيات الثلاثة على عمق العلاقة بين هؤلاء الرجال وبين سيوفهم، ففيها الموت وبها النجاة؛ ولعل سبب تركيز الشاعر هنا على وصف ضرب السيوف هو أنه وقومه في حالة فيها ضعف معين، حيث كانوا عرضة للتهديد؛ ولذا أراد أن يضرب من خلال هذه الأبيات مثلًا على شجاعتهم وسطوتهم، ثم نراه في البيت الثاني يصف حال قوم ابن عجلان بعد أن تعرضوا لضربات السيوف، حيث هربوا -تاركين حماهم الذي تكون فيه أعراضهم- خوفًا من الموت، وفي قوله: (بِضَرْبٍ كَأَفْوَاهِ المعَبَّدَةِ الْهُدْلِ) كناية عن قوة ضربات سيوفهم، حيث شبه الشاعر اللحم المتدلي من أجساد الرجال بعد تعرضهم لضربات سيوف سراة الأوس، بمشافر الإبل المتدلية والجامع هو التدلي في الطرفين، ونرى أن الشاعر حذف الموصوف (الإبل) وأقام الصفة (المعبدة) مقامه؛ وذلك مسارعة إلى وصف الإبل بهذا الوصف الذي انطبق على أعدائه، والذي فيه إهانة وإذلالٌ لهم، والمعبدة من الإبل هي التي طليت بالقطران.

---

(1) الحماسة الشجرية، تأليف: ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي، دمشق، 1970 م، 151/1. الأهدل: هو البعير الذي استرخى مشفره. والمعبدة: الإبل المطلية بالقطران أو المذللة، والشاعر هو: درهم بن زيد بن ضبيعة الشاعر، جاهليّ. جمهرة النسب، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)، رواية: السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. حسن ناجي، عالم الكتب – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٦ م، ٦٢٤/١

ISSN : 2410-1818

وقد تكون الكناية عن قوة ضربة السيف مأخوذة من الأحوال التي تجري على النباتات؛ ومن ذلك قول زُهَير بن أبي سلمى مادحا هَرِم ابن سنان بالشجاعة، وواصفا القتال الشديد الذي يصبر له أمثال ابن سنان:

حَتَّى إِذَا مَا الْتَقَى الجَمْعَانِ وَاخْتَلَفُوا ضَرْبًا كَنَحْتِ جُذُوعِ النَّخْلِ بِالسَّفَنِ[1]

ففي قوله: (ضَرْبًا كَنَحْتِ جُذُوعِ النَّخْلِ بِالسَّفَنِ) كناية عن قوة هذه الضربات التي أشبهت وقع الفؤوس في النخل، والشاعر هنا أراد أن يقرب للمتلقي مشهد القتال الذي جرى في نفسه، وطريقة تحرك السيوف وارتفاعها ونزولها أثناء القتال بها، فشبه ذلك بضرب جذوع النخل بالفؤوس، والجامع هو شدة الضرب الذي يقع بطريقة مخصوصة مع ظهور آثاره واضحة للعيان.

ومن ذلك أيضًا قول بِشْر بن أبي خازم:

رَمَوْهُمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَتْ مِنْ نُحُورِهِمْ قِطَاعٌ خِفَافٌ رِيشُهَا وَالمَعَابِلُ

تَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ يَضْرِبُونَ رُؤُوسَهُمْ كَمَا تَعْضِدُ الطَّلْحَ الوَرِيقَ المَعَاوِلُ[2]

ففي البيت الثاني كناية عن قوة ضربات السيوف التي أشبه وقعها في رؤوس الرجال وقع الفؤوس في جذوع الطلح، فقد شبه الشاعر هنا رؤوس الأعداء، وهي تتكسر من فعل ضربات السيوف بجذوع الطلح التي تُقطّعها ضربات معاول الحطابين، بجامع وقوع الضربات بطريقة معينة مع ظهور آثارها للعيان، وقد فصل جملة (يَضْرِبُونَ رُؤُوسَهُمْ) عن جملة (تَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ) لكمال الاتصال بين الجملتين؛ حيث جاءت الجملة الثانية مرتبطة ارتباطًا معنويًا بالجملة الأولى حاملة لمعنى الشجاعة والإقدام -الذي امتلأت به نفس الشاعر، والذي عبر عنه في الجملة الأولى- ومؤكدة له، ثم إن في وصف الطلح بأنه وريق دلالة على أنه طلح له قيمته العالية عند الناس، ففيه يستظلون ويرتاحون، وكذلك هي قيمة الرؤوس من الأجساد، وقد عبر بالمضارع عن الماضي في قوله: (تَوَلَّوْا عَلَيْهِمْ يَضْرِبُونَ رُؤُوسَهُمْ)، فالأصل أن يقول (ضربوا)؛ لأن السياق يدور حول شيء حدث في الماضي بدلالة استعمال الأفعال الماضية (رَمَوْهُمْ

---

[1] شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي الحجاج يوسف بن سليمان/الأعلم الشنتمري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، 1992. 280–281، اختلفوا ضربا أي: اختلفت أيديهم بالضرب والقتال، يرفعونها ويخفضونها، أوكل منهم ضرب الآخر فأصابه. والسفن: الفأس العظيمة يقشر بها. والقرن: من يقاومه في الحرب. وقوله: مصفراً أنامله كناية عن دنو الموت منه. وفي الرمح أي: مع الرمح، يريد: والرمح فيه. والمائح: الذي ينزل إلى أسفل البئر ليملأ الدلو. والأسن: الذي يغشى عليه من ريح البئر.

[2] بشر بن أبي خازم: ديوانه، 176. القطاع: جمع قِطْع، وهو، وهو السهم. والمعابل: جمع مِعْبَلة، وهي نصل طويل عريض من السهام. تولوا عليهم: أي مشوا إليهم للقتال، تعضد: من عضد الشجر إذا قطعه. والطلح: ضرب من الشجر عظيم الساق طويل الأغصان شديد الخضرة، له ظل يستظل به الناس والإبل. والمعاول: الفؤوس.

ISSN : 2410-1818

- اسْتَمْكَنَتْ - تَوَلَّوْا) لكن الشاعر عدل إلى المضارع؛ لأنه يريد أن يطيل من المدة الزمنية التي حصل فيها الضرب؛ لأن في ذلك تشفيًا من الأعداء يفرح به قومه، ويألم منه قوم المضروبين، وقد حقق له الفعل المضارع هذه الغاية، بعكس الماضي الذي لا يمكّنه من ذلك، ثم إن في استعمال الأفعال المضارعة (يَضْرِبُونَ -تَعْضِدُ) نقل لخيال المتلقي من حال الاستماع إلى الرؤية المباشرة للحدث والحضور والتواجد في مشهد القتال.

ويقول عبد مناف بن رِبْع الهُذَليّ:

سَدُّوا عَلَى الْقَوْمِ فَاعْتَطُّوا أَوَائِلَهُمْ جَيْشَ الْحِمَارِ وَلَاقَوْا عَارِضًا بَرِدَا

فَالطَّعْنُ شَغْشَغَةٌ وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ ضَرْبَ المعَوِّلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعُضَدَا[1]

ففي قوله: (وَالضَّرْبُ هَيْقَعَةٌ ضَرْبَ المعَوِّلِ تَحْتَ الدِّيمَةِ الْعُضَدَا) كناية عن قوة ضربات السيوف، والهيقعة: "حكايَةُ وقْعِ السَّيْفِ، أو ضَرْبُكَ الشيءَ اليابِسَ على اليابِسِ لتَسْمَعَ صَوْتَهُ"[2]، ففي التركيب هنا بيان لصوت وقع السيوف التي تتابعت ضرباتها بقوة وسرعة ما جعلها تصتك في رؤوس الرجال وأبدانهم، فتنتج عنها هذا الصوت، ثم شبه ضرب الرجال لبعضهم بالسيوف بضرب الحطاب لأعضاد الشجر، واحترز بقوله: (تَحْتَ الدِّيمَةِ)؛ ليطيل من تكرار الضرب؛ "لأنّ الأغصان والأشجار تصير ألدن وأعلك، فيحتاج الذي يضرب تلك الأصول قبل المطر، إلى عشر ضربات حتّى يقطع ذلك المضروب؛ فإذا أصابه المطر احتاج إلى أكثر من ذلك"،[3] وقد أكد المعنى وبين النوعية الخاصة لهذا الضرب باستخدامه المفعول المطلق (ضرب) وما جاء بعده.

---

[1] شرح أشعار الهذليين، للسكري674/2. اعتطوا: شقو أوائل القوم. وقوله: عارضاً، ضربه مثلاً للعارض من السحاب. والعط: الشق، وجيش الحمار: كان في الجيش حمار جاءوا عليه، ويقال: إنما كان معهم حمار يحمل بعض متاعهم.

والشاعر هو: عبد مناف بن ربع (بكسر الراء وسكون الباء) الجربي، من هذيل: شاعر جاهلي. الأعلام للزركلي ١٦٦/٤، خير الدين الزركلي (ت ١٣٩٦).

[2] القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ – ٢٠٠٥ م ٧٧٥/١

[3] الحيوان ٤٥٨/٤، الجاحظ (ت ٢٥٥).

ISSN : 2410-1818

ثم إن التعريف بأل الجنسية في (الضرب والطعن) أفاد الشمول والعموم، وأن الضرب والطعن اللذين وصفهما قد وقعًا من المقاتلين جميعهم، ثم عرف (المعَوِّلِ والدِّيمَةِ والْعَضَدَا) بأل العهدية لكي يعين مفهوم اللفظ بدقة، وهو ما تفيده أل العهدية.

وقد تكون الكناية عن قوة ضربة السيف مأخوذة من أحوال النار، ومن ذلك قول الخِرنِق بنت بَدر:

بِيضًا يُحَزِّزْنَ الْعِظَامَ كَأَنَّمَا يُوقِدْنَ فِي حَلَقِ الْمَغَافِرِ نَارَا[1]

ففي قولها: (بِيضًا يُحَزِّزْنَ الْعِظَامَ) كناية عن مضاء هذه السيوف وقوة ضرباتها التي تقطع اللحم، ويكون فعلها في العظام، وفي قولها: (كَأَنَّمَا يُوقِدْنَ فِي حَلَقِ الْمَغَافِرِ نَارَا) كناية عن قوة ضربات هذه السيوف، فعند اصطدامها بالمغافر الحديدية يخرج الشرر من مكان الضربات؛ ولكثرة هذه الضربات، وتتابعها وقوتها كأن المغافر تشتعل بالنار، وإذا كان هذا فعل هذه السيوف في الحديد، فيكف سيكون في الأجساد؟

ومثله أيضًا قول طَرَفة بن العبد البكري مفتخرًا بفعال قومه:

إِنَّا لَنَكْسُوهُمْ وَإِنْ كَرِهُوا ضَرْبًا يَطِيرُ خِلَالَهُ شَرَرُهْ[2]

وقد استعار طرفة الكسو لضرب السيوف لأجساد الأعداء، والجامع بينهما هو الاحتواء والاشتمال على الشيء، ثم اشتق من الكسو نكسوا بمعنى نضرب، على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية؛ وذلك لأن إسناد الكسو إلى ضرب السيف ليس على الحقيقة، بل هو شأن من شؤون الإنسان، وقد حملت الجملة الاعتراضية (وَإِنْ كَرِهُوا) زيادة توضيح لمعنى شجاعة قوم طرفة، وفي قوله: (ضَرْبًا يَطِيرُ خِلَالَهُ شَرَرُهْ) كناية عن قوة ضربات السيوف التي يتطاير من وقعها الشرر، ونرى في تقديم الظرف (خلال) على الفاعل زيادة اهتمام بهذا الظرف لأهميته في هذا المعنى، الذي يدلل به على شدة الضرب وشراسته في هذا القتال.

---

[1] ديوان الخرنق بنت بدر، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة – وزارة الثقافة، 1969 م، ص 34. المغافر: جمع مغفر وهو زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

والشاعرة هي: خرنق بنت بدر بن هفان بن تميم بن قيس بن ثعلبة بن عكابة، شاعرة جاهلية. ديوانها ص ٣، ٨.

[2] ديوان طَرَفَة بن العبد، شرح الأَعْلم الشَنْتَمَرِي، وتليه طائفة من الشعر المنسوب إلى طرفة 0 تحقيق: درية الخطيب ,ولطفي الصَّقال0 مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق _1395هـ -- 1975م، ص134.

والمعنى: نضربهم ضربا له توقد وشرر لشدته، ومعنى خلاله: بينه، وجعل الضرب لهم كسوة؛ لأنهم علوهم به، فحل منهم محل الكسوة. أشعار الشعراء الستة الجاهليين، الأعلم الشنمتري، ج1/ص79.

ISSN : 2410-1818

ومن طرائق الشعراء الجاهليين في الكناية عن قوة ضرب السيوف؛ وصف تأثير هذه الضربات على السيوف نفسها، يقول عَبيد بن الأبْرَص مفتخرًا بفعال قومه وهزيمتهم لكندة:

هَلاَّ سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْـ ـدَةَ إِذْ تَوَلَّوْا: أَيْنَ أَيْنَا

أَيَّامَ نَضْرِبُ هَامَهُمْ بِبَوَاتِرٍ حَتَّى انْحَنَيْنَا[1]

ففي قوله: (حَتَّى انْحَنَيْنَا) كناية عن قوة ضربات سيوفهم الأمر الذي نتج عنه انحناء هذه السيوف بعد إعمالها في أجساد الأعداء، واختياره لضرب الهامات يأتي متسقًا مع معنى انحناء السيوف؛ لأن عظام الجماجم من أقوى عظام الإنسان وكسرها ليس بالأمر الهين، وفي اختياره لوصف (بواتر) دلالة على قوة وكثرة الضربات التي وقعت من هذه السيوف؛ لأن السيف الباتر سريع القطع، لكنه انحنى هنا مما يدل على كثرة الضرب الذي وقع منه، ثم إن هناك إشارة إلى قوة عزائمهم وصلابتهم أثناء القتال، فحتى السيوف البواتر انحنت ووهنت أمام هذا العزم وهذه الصلابة ولم تستطع مجاراتهم في المعركة.

وقد يقاس تأثير قوة ضربة السيف بقدرتها على كسر البيضة، ومن شواهد ذلك قول بشر بن أبي خازم:

لَقِينَاهُمُ كَيْفَ نُعْلِيهِمُ بَوَاتِرَ يَفْرِينَ بَيْضًا وَهَامَا[2]

واعتلاء العدو بالسيف نوع من أنواع الضرب، ولكنه اختص بأن يكون من الأعلى "وعلوت الرجل: غلبته. وعَلَوْتُهُ بالسيف ضربته. "[3]، وفيه دلالة على قهر العدو والاستعلاء عليه، وفي قوله: (يَفْرِينَ بَيْضًا وَهَامًا) كناية عن قوة ضربات هذا السيوف التي تقص الحديد وتنفذ منه إلى الجماجم فتكسرها، وقريب منه قول عَبيد بن عبد العُزى السلاميّ:

وَدُسْنَاهُمُ بِالخَيْلِ وَالبِيضِ وَالقَنَا وَضَرْبٍ يَفُضُّ الهَامَ فِي كُلِّ مِغْفَرِ[4]

---

(1) ديوان عبيد بن الأبرص، عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، الطبعة الأولى، القاهرة، 1377 هـ - 1957 م، ص 137

(2) بشر بن أبي خازم: ديوانه، ص188. وقوله نعليهم بواتر أي: نضربهم على رؤوسهم بالبواتر وهي السيوف، ويفرين يقطعن، والبيض جمع بيضة وهي الخوذة. والهام: جمع هامة، وهي الرأس.

(3) الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية ٢٤٣٥/٦ — الجوهري، أبو نصر (ت ٣٩٣).

(4) قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، قطر، الطبعة الثانية، 1988، ص133. والمغفر: زرد ينسج من الدروع على قدر الرأس يلبس تحت القلنسوة.

وكلُّ شيءٍ كَسَرْتَه وفرَّقته، فَقَدْ فضَضْتَه. وطارَت عِظامُه فُضاضًا وفِضاضًا إذا تطايَرَتْ عِنْدَ الضَّرْبِ. اللسان، مادة فضض، عبيد بن عبد العزّى السلاميّ، أحد بني سلامان بن مفرج، وهو ابن عم الشَّنفرى. منتهى الطلب من أشعار العرب ٣٨١/١

ISSN : 2410-1818

وقد يكون التأثير في القوانس وهي جزء من أجزاء البيضة، يقول النابغة الذبياني:

يَطِيرُ فُضَاضًا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ الحَوَاجِبِ[1]

ففي البيت الأخير كناية عن قوة ضربات السيوف، وفي قوله: (يطير فضاضًا) تعبير دقيق عن حركة هذه السيوف في هذا الجو القتالي الرهيب، واستخدامه للفعل (يطير) أبلغ في التعبير عن المعنى هنا؛ لأنه يحمل معنى سرعة الضرب وقوته، ثم قال: (فضاضا بَيْنَهَا كُلُّ قَوْنَسٍ)، وتنكير الحال المقدمة (فضاضًا) هنا يوحي بشراسة القتال وضراوته، واشتماله على ميدان القتال كله، كما أن الجَرس الذي سببه تكرار حرف الضاد هنا أشاع جوًا من الإيقاع قد يكون مناسبًا لإيقاع ضربات السيوف أثناء القتال، وفي اختياره للقونس دلالةٌ على قوة ضربات المقاتلين ومضاء سيوفهم، فطيران القوانس -وهي من الحديد القوي المعد لحماية الوجه - بهذا الشكل يصور للمتلقي على نحو دقيق مقدار العنف الدائر في هذه المعركة، ثم يعزّز النابغة هذا المعنى ويؤكّده بقوله: (وَيَتْبَعُهَا مِنْهُمْ فَرَاشُ الحَوَاجِبِ)، فحركة السيوف القوية جعلتها تحطِّم القوانس لتصل إلى عظام الوجه الرقيقة فتطيرها وتشتتها أيضًا، وهذه اللفتات الدقيقة لمثل هذه الصور تدل على إبداع النابغة وقدرته العجيبة على الإبانة عما في نفسه من المعاني.

---

[1] ديوان النابغة الذبياني، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.، ص44. والفضاض: القطع المتفرقة. ونسب الفراش إلى الحواجب لقربها منها

والقَوْنَس في البيضة سُنْبُكُها الذي فوق جُمْجُمَتها، وهي الحديدة الطويلة في أَعلاها. لسان العرب، مادة قنس.

والفراش: العظام الرقاق التي يركب بعضها بعضا في أعالي الخياشيم إلى الجمجمة. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من الأخبار، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي إبراهيم مصطفى، دار الكتب العلمية – بيروت – لبنان، 2008، ج1، ص 415

ISSN : 2410-1818

الخاتمة

خرجت هذه الدراسة بنتائج متعددة، من أهمها:

1. تعددت طرائق الشعراء الجاهليين في كناياتهم عن قوة ضربة السيف، وكان معيار قياس قوة ضربة السيف عندهم إما متعلقا بجسم الإنسان وأحواله المعنوية أو خارجًا عن أحوال الإنسان، فنجدهم يقيسون قوة الضربة عبر بيان مدى تأثيرها في العظام والرأس واليد والساعد والظهر، أو على الجسم كاملاً، أو بوصف سعة جروح الضربة وانفجار الدماء منها، أو بوصف تأثيرها المعنوي على المقاتلين، أما معايير القياس - التي جاءت في كناياتهم عن قوة ضربة السيف- والتي لا تتعلق بأحوال الإنسان، فمنها تصوير انحناء السيوف الناتج عن شدة ضرباتها، أو تكسير الخوذ الحديدة (البيض) أو القياس على أحوال مأخوذة من الطبيعة المحيطة بهم كأحوال الحيوانات والنباتات.
2. كان سياق الفخر الجمعي أكثر السياقات التي جاءت فيها كنايات الشعراء الجاهليين عن قوة ضربة السيف، يليه الفخر الذاتي -الذي برز فيه سياقات وصف الأسلحة التي يقاتل بها الشاعر بشكل واضح - ثم جاء سياق الهجاء ووصف القتال، وأخيرًا سياقا المدح والرثاء.
3. وجد البحث أن كلمة (حتى) تتكرر في العديد من شواهد التصوير الكنائي عن قوة ضربة السيف، للدلالة على استمرارية الضرب لفترة معينة قبل أن تظهر النتيجة، مما يعكس روح الغضب والتشفي والانتقام التي كانت تعتمل في نفوس هؤلاء الشعراء.

التوصيات: توصي هذه الدراسة بمتابعة النظر في طرائق الشعراء العرب في الكناية عن صفة معينة والتعرف على أساليبهم في تصوير هذه الصفة.

ISSN : 2410-1818

المصادر والمراجع

1. الأصمعيات اختيار الأصمعي، الأصمعي أبو سعيد عبد الملك بن قريب بن علي بن أصمع (ت ٢١٦هـ)، تحقيق: احمد محمد شاكر - عبد السلام محمد هارون، دار المعارف – مصر، الطبعة: السابعة، ١٩٩٣م.
2. الأعلام. خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، دار العلم للملايين
3. التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت ١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر - تونس، ١٩٨٤ م
4. التصوير البياني دراسة تحليلية لوسائل البيان، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، الطبعة الثالثة، 1413هـ - 1993م.
5. التلخيص في معرفة أسماء الأشياء، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري (ت نحو ٣٩٥هـ)، عني بتحقيقه: الدكتور عزة حسن، دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق، الطبعة: الثانية، ١٩٩٦ م.
6. تهذيب الآثار وتفصيل الثابت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- من الأخبار، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق: علي إبراهيم مصطفى، دار الكتب العلمية - بيروت – لبنان، 2008.
7. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
8. جمهرة النسب، أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي (ت ٢٠٤ هـ)، رواية: السكري عن ابن حبيب، تحقيق: د. حسن ناجي، عالم الكتب - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٦ م.
9. الحماسة الشجرية، تأليف: ابن الشجري، هبة الله بن علي بن حمزة العلوي الحسني، تحقيق: عبد المعين الملوحي، وأسماء الحمصي، دمشق، 1970 م.
10. دلائل الإعجاز في علم المعاني، أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الفارسي الأصل، الجرجاني الدار (ت ٤٧١هـ)، تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر، مطبعة المدني بالقاهرة - دار المدني بجدة، الطبعة: الثالثة، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
11. ديوان أبي قيس بن الأسلت، أبو قيس صيفي بن الأسلت، دراسة وجمع وتحقيق: دكتور حسن محمد باجودة، دار التراث - القاهرة، د.ت.
12. ديوان الحارث بن حلزة، الحارث بن حلزة اليشكري، تحقيق: فريتس كرنكو، مجلة المشرق، السنة العشرون، العدد السابع، تموز 1922 م.

ISSN : 2410-1818

13. ديوان الخرنق بنت بدر، تحقيق: د. حسين نصار، مطبعة دار الكتب، الجمهورية العربية المتحدة - وزارة الثقافة، 1969 م.
14. ديوان الفند الزماني، الفند الزماني، تحقيق: حاتم صالح الضامن، بغداد، 1407 هـ، نشر في: مجلة المجمع العلمي العراقي، الجزء الرابع، المجلد السابع والثلاثون، (ربيع الأول 1407 هـ - كانون الأول 1986 م)
15. ديوان النابغة الذبياني، بتحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.
16. ديوان امرئ القيس، امرؤ القيس بن حجر الكندي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم. الطبعة الثالثة، دار المعارف بمصر، 1389 هـ - 1969 م.
17. ديوان بشامة بن الغدير، بشامة بن الغدير، تحقيق: عبد القادر عبد الجليل، نشر في مجلة المورد، مجلة فصلية تراثية تصدرها وزارة الإعلام في الجمهورية العراقية، المجلد السادس، العدد الأول، 1397 هـ - 1977 م.
18. ديوان بشر بن أبي خازم. عُني بتحقيقه: د. عزة حسن، دمشق، 1379 هـ - 1960 م.
19. ديوان سلامة بن جندل، تحقيق: فخر الدين قباوة، الطبعة الأولى، حلب، 1387 هـ - 1968 م.
20. ديوان عامر بن الطفيل برواية أبي بكر محمد بن القاسم الأنباري، عن أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب، دار صادر - بيروت، عام ١٣٩٩ هـ - ١٩٧٩ م.
21. ديوان عبيد بن الأبرص، عبيد بن الأبرص، تحقيق وشرح: حسين نصار، الطبعة الأولى، القاهرة، 1377 هـ - 1957 م.
22. ديوان عنترة بن شداد، تحقيق ودراسة: محمد سعيد مولوي، المكتب الإسلامي.
23. ذو الإصبع العدواني، حرثان بن محرث، ديوانه، تحقيق: عبد الوهاب محمد علي العدواني، ومحمد نائف الدليمي، وخطّ أشعاره: يوسف ذنون، مطبعة الجمهور - الموصل، 1393 هـ - 1973 م.
24. زهير بن جناب الكلبي، ديوانه، تحقيق: محمد شفيق البيطار، دار صادر - بيروت، 1999 م.
25. سر الفصاحة، أبو محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ)، دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.
26. شرح أشعار الهذليين، أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، مكتبة دار العروبة.
27. شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات، أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار الأنباري (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار المعارف [سلسلة ذخائر العرب (٣٥)]، الطبعة: الخامسة.
28. شرح القصائد العشر، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ التبريزي، أبو زكريا (ت ٥٠٢هـ)، عنيت بتصحيحها وضبطها والتعليق عليها للمرة الثانية: إدارة الطباعة المنيرية، ١٣٥٢ هـ.

ISSN : 2410-1818

29. شرح المعلقات التسع، منسوب لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) تحقيق وشرح: عبد المجيد همو، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.
30. شرح ديوان الحماسة، أبو على أحمد بن محمد بن الحسن المرزوقي الأصفهاني (ت ٤٢١ هـ)، حققه غريد الشيخ ووضع فهارسه العامة إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية في بيروت، لبنان، الطبعة الأولى عام ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
31. شرح ديوان زهير بن أبي سلمى، أبي الحجاج يوسف بن سليمان/الأعلم الشنتمري، تحقيق: الدكتور فخر الدين قباوة، دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان، 1992.
32. الشعر والشعراء، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٣.
33. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
34. الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم. الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله (ت ٧٤٥هـ)، المكتبة العنصرية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ.
35. عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، أحمد بن علي بن عبد الكافي، أبو حامد، بهاء الدين السبكي (ت ٧٧٣ هـ)، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.
36. القاموس المحيط، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى (ت ٨١٧هـ) تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م
37. قصائد جاهلية نادرة، د. يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، قطر، الطبعة الثانية، 1988.
38. كتاب العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.
39. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل (مع الكتاب حاشية: الانتصاف فيما تضمنه الكشاف لابن المنير الإسكندري (ت ٦٨٣)، وتخريج أحاديث الكشاف للإمام الزيلعى)، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٧ هـ.
40. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت ٧١١هـ)، حواشي: لليازجي وجماعة من اللغويين، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤١٤ هـ.

ISSN : 2410-1818

41. المحكم والمحيط الأعظم. أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي (ت: ٤٥٨هـ) ، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
42. المعاني الكبير في أبيات المعاني، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: المستشرق د. سالم الكرنكوي (ت ١٣٧٣ هـ)، عبد الرحمن بن يحيى بن علي اليماني (١٣١٣ - ١٣٨٦ هـ)، مطبعة دائرة المعارف العثمانية - حيدر آباد الدكن، الهند [الطبعة الأولى ١٣٦٨هـ، ١٩٤٩م]، ثم صورتها: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان [الطبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م]
43. معجم الشعراء، الإمام أبي عبيد الله محمد بن عمران المرزباني (المتوفى: ٣٨٤ هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، مكتبة القدسي، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
44. معجم ديوان الأدب، أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين الفارابي، (ت ٣٥٠هـ)، تحقيق: دكتور أحمد مختار عمر، مراجعة: دكتور إبراهيم أنيس، طبعة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، القاهرة، عام النشر: ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
45. معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، عام النشر: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
46. مفتاح العلوم. يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي الحنفي أبو يعقوب (ت ٦٢٦هـ)، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
47. المفضليات، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي (ت نحو ١٦٨هـ)، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، دار المعارف - القاهرة، الطبعة: السادسة.
48. من مباحث البلاغة والنقد بين ابن الأثير والعلوي دراسة في التأثير والتأثر وتجاوزات الفهم. نزيه عبد الحميد فراج، مكتبة وهبة، القاهرة، 1997.
49. المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء وكناهم وألقابهم وأنسابهم وبعض شعرهم. أبو القاسم الحسن بن بشر الآمدي (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: الأستاذ الدكتور ف. كرنكو، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١ هـ - ١٩٩١ م.
50. نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي (ت ٨٢١هـ)، تحقيق: إبراهيم الإبياري، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م.